مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم في ضوء مطلع سورة المزّمّل

The Pillars of the Spiritual Construction of the Muslim Preacher in the Light of Surat Al Muzzammil

د. عبد الله أحمد الزيوت
أستاذ مشارك/ الجامعة الأردنية/ الأردن

Dr. Abdallah Ahmad Alzyout
Associate prof. - University of Jordan - Jordan
dr.alzyuot@gmail. com

تاريخ الاستلام: 13/ 5/ 2019م، **تاريخ القبول:** 18/ 8/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

Received: 13/ 5/ 2019, **Accepted:** 18/ 8/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547508
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

تُحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس: ما مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم التي تضمنها مطلع سورة المُزّمِّل؟ وتهدف إلى الوقوف على المعنى المفرد والمركب لمرتكزات البناء الروحي للداعية وتحديد تلك المرتكزات، وإبراز المحور الرئيس الذي تدور حوله سورة المُزّمِّل، وذلك من خلال استخدام المنهج الوصفي القائم على التحليل مع الإفادة من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، كان من أبرزها أن المراد بمرتكزات البناء الروحي للداعية الدعائم والأسس التي يتحصّل من ضمِّ بعضها إلى بعض تقوية صلة الداعية بربه تعالى، وتثبيته في دعوته، وتمكينه من تبليغ الإسلام للناس، وحثّهم على تطبيقه في الحياة على الوجه الأكمل. وقد انحصرت هذه المرتكزات بقيام الليل، وترتيل القرآن، واستدامة ذكر الله تعالى، والتبتل والانقطاع إليه في كلّ قول أو عمل، والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، إضافة إلى الصبر مع الهجر الجميل للمخالفين، وهذه المرتكزات مرتبطة بعضها ببعض، ولا يُغني أحدها عن الآخر.

الكلمات الدالة: البناء الروحي، الداعية المسلم، الدعوة إلى الله تعالى، سورة المُزّمِّل.

Abstract

This study tackles the pillars of the spiritual constructions of the Muslim preachers in the light of Surat Al Muzzammil. The study aims at identifying the pillars of spiritual construction and their complex and singular meaning, in addition to identifying the focus of Surat Al Muzzammil. To achieve the objectives of the study, the descriptive, inductive and deductive approaches were used.

This study concludes a number of important results. The pillars of the spiritual constructions of the preachers are the foundations that promote the connection between the preacher and Allah, resulting in the empowerment of the preacher to help deliver the message of Islam to the people and apply it in the real life. Those spiritual pillars are mainly, the practice of night prayers, recitation of the Qur'an, constant remembrance of Allah, devotion to Allah in every act and word, reliance on Allah, patience and avoiding those who contravene the provisions of Islam kindly. All these spiritual pillars are interconnected and integrated.

***Keywords**: Spiritual Construction, Preacher, Preaching, Allah, Surat Muzammil*

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على مَنْ أرسله ربُّه شاهدًا ومُبشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا، نبينا محمد بن عبدالله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الدعاة والمصلحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد؛

فإن الدعوة إلى الله تعالى، والقيام لتبليغ الدِّين، وتعليمه للناس مُهمة الأنبياء والمرسلين، ووظيفة مَنْ اتبعهم وسار على دربهم، وهي شرف عظيم لمن وفقه الله تعالى للقيام بها على علْمٍ وحجة بيِّنة واضحة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: 108].

ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى أشرف المقامات وأجلها، كان حاملها في أعلى المنازل وأرفعها و أحسنَ الناس قولاً وأفضلهم عملاً، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: 33].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للدعوة إلى الله في كل عَصْرٍ ومِصْرٍ أعداء يُحاربونها، ويسعون إلى تشويه صورتها، ويؤذون حملتها بشتى أنواع الأذى، ويقاومونهم بكل قوة؛ لأنهم يدعون إلى عبادة الله تعالى، والتزام حدوده فيما أمر به ونهى عنه وزجر، ويحثّون على التحرر من أهواء النّفس والتخلي عن شهواتها.

ومما لا شك فيه أن ثبات الدعوة إلى الله تعالى وتحقيق الغاية منها مرهون بوجود دعاة مؤهلين يحملون همَّ الدعوة ويحرصون عليها أشدَّ الحرص، ولا يتحصّل ذلك إلا بتعميق صلة الداعية بالله سبحانه وتعالى، فهو ضرورة لا غنى لداعية عنها، بل لا يُتصور أن ينهض بالدعوة بدونها لا سيما في هذا الزمان الذي ابتعد فيه أكثر الناس عن المنهج الذي ارتضاه الله لهذه الأمة بعد أن تكالبت عليها الأمم، واستعملت في صدِّ المسلمين عن دينهم القويم وسائل متعددة، وطرق متنوعة.

وقد رأيت أن من حقِّ الدعاة إلى الله تعالى أن يكون لهم نصيبٌ من الدراسات والأبحاث العلمية المُستمدة من نبع القرآن الكريم الصافي، ذلك النّبع الذي استقى منه إمام الدعاة وأسوتهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة الكرام من بعده، فاستقاموا على أمر الله تعالى، وأخلصوا نيّاتهم له، ولن يكتمل العمل الدعوي إلا بالبناء الروحي للداعية المسلم المُستمد من ذلكم النّبع الذي استقى منه سيّد الدعاة وإمامهم صلى الله عليه وسلم.

إن القرآن الكريم حافل بكلِّ ما يحتاجه الداعية خاصة والمسلم عامة؛ إذ تطرق في سور عديدة وآيات متفرقة إلى البناء الروحي.

لكنّ مطلع سورة المُزّمل من أوائل ما أمر به صلى الله عليه وسلم قبل أن ينهض بتبليغ ما أرسله الله تعالى به، وقد تضمن هذا الأمر الإعداد الروحي من أجل التحرك بالدعوة والتبليغ، وتنمية القدرة على الاستمرار وتجاوز ما يعترضه من عقبات.

وتحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على مطلع هذه السورة الكريمة لاستنباط مرتكزات البناء الروحي للداعية، وما لها من الأثر الكبير في تشكيل شخصيته وفق المنهج الرباني الذي التزمه الداعية الأول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده ممن قاموا بالدعوة على أتم وجه وأكمله.

وقد بدأت بتحديد التعريف المفرد والمركب لمرتكزات البناء الروحي للداعية، وبيّنت شخصية سورة المُزَّمِّل ومحورها الرئيس، ثم ذكرت مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله تعالى التي تضمنها مطلع السورة الكريمة.

مشكلة الدراسة:

لعلّ من المعروف بداهة أن استقرار الحياة وصلاحها مرتبط باستمرار الدعوة إلى الله تعالى، وأنّ تحقيق الغاية منها مُرتبط بوجود دعاة مؤهلين لحملها على أكمل وجه. وإن الناظر بعين البصيرة يلحظ كثرة الدعاة في هذا العصر وَضَعفَ تأثيرهم رغم تقدم الوسائل وتوافرها وتنوعها. وانطلاقًا من أهمية الدعوة، وضرورة الإعداد للقيام بها جاءت هذه الدراسة للتعرف على الطريق الأمثل في الإعداد والاستعداد الروحي قبل حمل الدعوة وأثناء التحرك بها، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: **ما مرتكزات البناء الروحي للداعية إلى الله تعالى، والتي ينبغي على الداعية أن يلتزمها قبل تحركه في الدعوة وفي أثنائها؟** ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

- ما المراد بمرتكزات البناء الروحي للداعية؟
- ما المحور الذي تدور حوله سورة المزّمِّل؟
- ما مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم التي تضمنتها آيات مطلع سورة المزمل؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- الوقوف على معنى مرتكزات البناء الروحي للداعية.
- محاولة بيان المحور الرئيس الذي تدور سورة المزّمِّل حوله.
- إبراز مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله تعالى التي تضمنتها آيات مطلع سورة المزّمِّل.

أهمية الموضوع:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال الآتي:

- إن الوقوف على المعنى مرتكزات البناء الروحي، وإبراز هذه المرتكزات في ضوء آيات مطلع سورة المزّمِّل يفيد المسلمين عامة، والدعاة إلى الله تعالى خاصة، وربما يفيد المراكز والمعاهد المتخصصة بإعداد الدعاة.
- إن هذا الموضوع لم يحظ فيما اطلع عليه الباحث بدراسة علمية مستقلة؛ ولذلك يرجو أن يقدم إلى المكتبة الإسلامية إضافة علمية ولو يسيرة في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

لم يحظ هذا الموضوع فيما اطلع عليه الباحث بدراسة علمية مستقلة، غير أنه وجد دراسات ذات صلة بموضوعه العام، منها: دراسة عصام زهد (2005م، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر في الجامعة الإسلامية بغزة) بعنوان: أصول الدعوة الإسلامية في سورة نوح. ودراسة عبدالله الزيوت (2018، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية) بعنوان: أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر. وتختلف هذه الدراسة عن الدراستين المذكورتين من حيث السورة مدار البحث، ومن حيث الموضوع الكلي لهذه الدراسة؛ فهي تنحصر في تناول البناء الروحي للداعية ولا تتعرض لموضوع الدعوة، ولا للمدعوين.

منهج الدراسة:

إن الوصول إلى النتائج المروجة من هذه الدراسة اقتضى استخدام المنهج الوصفي القائم على التحليل مع الإفادة من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول: معنى مرتكزات البناء الروحي مفردًا ومركبًا

- **أولاً: المرتكزات**: وهي جمع مرتكز، وهي اسم مفعول من الفعل ارتكز، وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي رَكَزَ، وهذه المادة تدل في الأصل على إثبات شيء في شيء، يقال: رَكَزَ الرُّمح يَرْكُزه رَكْزًا، إذا غَرَزَه في الأرض، ومَرْكَزُ الجُنْد: الْمَوْضِعُ الَّذي أمروا أن يَلزَمُوه وأن لَا يَبرَحُوه، يُقَال: أَخَلَّ فلانٌ بمركزه. وارتكز إلى الشَّيء، وارتكز على الشَّيء، إذا اعتمد عليه واستند إليه، وارتكز الشَّيءُ في الشَّيء: ثبَت واستقرّ في محلّه، وعليه اعتمد. ومُرْتَكَزَاتُ العَمَلِ أو البِنَاء: أُسُسُهُ، دَعَائِمُهُ. [1]

مما سبق يتبين أن مادة (رَكَزَ) في اللغة تستعمل للدلالة على تثبيت الشيء واستقراره، والاعتماد عليه، سواءٌ أكان هذا الشيء حسيًّا أم معنويًّا، وأن الارتكاز على الشيء يُعين على تحمل المشاق والأعباء البدنية والنفسية.

- **ثانيًا: البناء**: وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي (بني)، وهو يدل في الأصل على بناء الشيء بضَمِّ بعضه إلى بعض؛ يقال: بَنَيْتُ أَبْني بِنَاءً وبِنْيَةً وبِنًى وبِنيانًا. والبناء: وضع شَيْء على شَيْء على صفة يُرَاد بهَا الثُّبُوت. وَاسْتعْمل مجَازًا في معَان كَثِيرَة تَدور حول التأسيس والتنمية، يُقَال: بنى مجده، وَبَنَى الرِّجَال، وَبنى الطَّعَام جِسْمه، وَبنى على كَلَامه؛ إذا احتذاه وَاعْتمد عَلَيْهِ. [2]

يظهر مما سبق أن مادة (بني) تدل في أصل الوضع على ضمِّ أجزاء مادية أو معنوية بعضها إلى بعض على وجه مخصوص يراد به الثّبوت، فمثلاً «الأمر الذي يربيه الإنسان من دينٍ واعتقاد إنما يربيه على نظرٍ وتأملٍ ووضع شيءٍ فشيءٍ. » [3]

- **ثالثًا: الروح**: وهي لغة مشتقة من الفعل (روح) ، وهذه المادة تدل في الأصل على سَعَة وفُسْحَة واطّراد، ومن معانيها: ما به حياةُ الأجسام، وجمعها أرواح، [4] وهي سرٌّ من أسرار الله تعالى في خلقه، ولا يدرك حقيقتها ولا يدرك كنهها غير خالقها سبحانه وتعالى، ولذلك لمّا سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عنها أُمر أن يَجيب:) قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ([الإسراء: 85]. ومع أنها مجهولة في كنهها، إلا أنها حقيقة، ونتائجها ليست مجهولة، ولا محجوبة عن الإدراك، وهي مركز الكيان البشري، وأكبر طاقات الإنسان، وهي الموجه إلى النّور، ووظيفتها الكبرى هي الاتصال بالله تعالى؛ [5] فهي تربط المؤمن بخالقه تعالى، وتُعمِّق صلته الداخلية به سبحانه وتعالى.

♦ **رابعًا: الداعية**: وهو في اللغة اسم فاعل من دعا يدعو دعوة، فهو داعٍ، وجاءت الهاء في آخره للمبالغة، يقال: رجُلٌ داعيَةٌ إِذَا كَانَ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى بِدْعة أَو دين. والجمع دُعاة، وهم قَومٌ يدعون إلى بيعة هدى أَو ضَلالة. [6] وبالرجوع إلى معجمات اللغة العربية ظهر أن لفظ الداعية يُطلق ويراد منه الداعية إلى الحقّ والخير والهدى، ويُطلق ويراد منه الداعية إلى الباطل والشر والضلال. والإطلاق الأول هو المراد هنا؛ أعني الداعية إلى الحقّ وعبادة الله تعالى وتوحيده وتحكيم شرعه في واقع الحياة، وبهذا المعنى نودي إمام الدعاة وأسوتهم، وبه أُرسل خاتم المرسلين: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾ [الأحزاب: 45، 46]. وعلى هذا؛ فالمراد بالداعية في هذه الدراسة: هو المُسلم الذي يميل بالناس إلى الإسلام، ويحثهم على تعلُّمه وتعليمه، وتطبيقه في واقع حياتهم.

وبعد بيان معنى كلّ من المرتكزات، والبناء، والروح، والداعية يمكن القول: إنّ مرتكزات البناء الروحي للداعية هي الدعائم والأسس التي يتحصّل من ضمِّ بعضها إلى بعض تقوية صلة الداعية بالله تعالى، وتثبيته في دعوته، وتمكينه من الاستمرار في تبليغ الإسلام للناس، وحثهم على تعلُّمه، وتعليمه، وتطبيقه، على الوجه الأكمل.

المطلب الثاني: شخصية سورة المُزَّمِّل ومحورها الرئيس

سورة المُزَّمِّل هي السورة الثالثة والسبعون في ترتيب المصحف، جاءت بعد سورة (الجنّ) وقبل سورة (المُدّثر)، وليس لهذه السورة إلا هذا الاسم، وجاءت تسميتها به في كلام ابن عباس رضي الله عنهما فقد نُقل عنه أنه قال: نزلت سُورَة المُزَّمِّل بمكة، [7] وذكر ابن عاشور أنه ليس لها إلا هذا الاسم، وأنها عُرفت بالإضافة للفظ (المُزمل) الواقع في أولها. [8]

وهي من السور المكية عند جمهور المفسرين، ووقع الخلاف في الآية الأخيرة منها، فقد نَسَبَ ابن عطية وأبو حيان إلى الجمهور قولهم: إنها مكيّة إلا آخر آية منها فإنها مدنيّة. [9] وأورد ابن عاشور الخلاف في ذلك، ثم ذكر أن الروايات تظاهرت على أن آخر آية من السورة نزلت منفصلة عما قبلها، بمُدّة مختلف في قدرها، ثم رجّح قول من قال بأن هذه الآية مدنية، مستأنسًا بما جاء فيها من قوله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [المزمل: 20]، إن لم يكن إخبارًا عن غيب. [10]

وسواء أكانت السورة مكيّة كلها أم مكية إلا آية منها مدنية فإن مطلع السورة مكيّ باتفاق العلماء، وهو من أوائل ما نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم قال الآلوسي: "والجمهور على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاءه الملك في غار حراء بما حاوره رجع إلى خديجة رضي الله تعالى عنها فقال: "زملوني". فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ [المدثر: 1]، وعلى أثرها نزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾. [11]

وعلى هذا يمكن القول إن التوجيهات القرآنية الموجهة للدعاة بدأت منذ فجر الدعوة، وكان النبي صلى الله وعليه وسلم أول المخاطبين بها، وأول العاملين بها، وعلى كلّ داعية من بعده أن يعمل بها، وأن يلتزم بمضمونها؛ لتُعينه على الاستمرار بالدعوة، وتُقوّيه على تحمّل متاعبها ومشاقها، حتى تُحقّق دعوته هدفها المرجو له ولأمته الإسلامية.

ولعلّ ترتيبها في المصحف قبل سورة المدثر يدلُّ على أن الاستعداد الروحي، والحرص على تعميق الصلة بالله تعالى قبل الولوج في الدعوة ضرورة لا غنى عنها، بل لا تقوم الدعوة بدونها.

والمحور الرئيس الذي تدور السورة حوله هو الزاد الروحي للداعية إلى الله تعالى والذي يُعمِّق صلته بالله تعالى؛ ليقوم بحمل أمانة الدعوة على الوجه الأكمل. يقول البقاعي: "مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال والأثقال، ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليال. . واسمها (المُزَّمِّل) أدل ما فيها على هذا المقال". [12]

ولسيد قطب نظرة عميقة لمحور هذه السورة وشخصيتها، واتصال مقاطعها ببعضها البعض، حيث قدّم لها بقوله: وشطر السورة الأول يمضي على إيقاع واحد. ويكاد يكون على روي واحد. هو اللام المطلقة الممدودة، وهو إيقاع رخي وقور جليل يتمشى مع جلال التكليف، وجدية الأمر، ومع الأهوال المتتابعة التي يعرضها السياق؛ هول القول الثقيل. . وهول التهديد المروّع. . وهول الموقف الذي يتجلى في مشاهد الكون وفي أغوار النفوس. . . فأما الآية الأخيرة الطويلة التي تمثل شطر السورة الثاني. . . فذات نسق خاص، فهي طويلة. . وفيها هدوء واستقرار، وقافية تناسب هذا الاستقرار؛ وهي (الميم) وقبلها مدّ (الياء):) غَفُورٌ رَحِيمٌ (. . السورة بشطريها تعرض صفحة من تاريخ هذه الدعوة، تبدأ بالنداء العلوي الكريم بالتكليف العظيم، وتصور الإعداد له والتهيئة بقيام الليل، والصلاة، وترتيل القرآن، والذكر الخاشع المتبتل، والاتكال على الله وحده، والصبر على الأذى، والهجر الجميل للمكذبين، والتخلية بينهم وبين الجبَّار القهار صاحب الدعوة، وتنتهي بلمسة الرفق والرحمة والتخفيف والتيسير، والتوجيه للطاعات والقربات، والتلويح برحمة الله ومغفرته: ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾. " [13]

وفذلكة القول أن محور هذه السورة وموضوعها الرئيس هو البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله بغض النظر عن جنسه أو لونه، أو عصره، وزاده الذي يوثّق صلته بالله تعالى، ويضمن له الاستمرار في دعوته، ويؤمن له سلامة سيره فيها، ويقيه من المخاطر، ويعينه على تجاوز ما يعترضه من عقبات، ويحفظه من الوقوع في الزلات، أو النكوس عنها مهما تعددت المُغريات، وتنوعت التهديدات.

المبحث الثاني: مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله تعالى

إن أول ما نزل من التوجيهات المتعلقة بالبناء الروحي للداعية إلى الله تعالى هو مطلع سورة المُزَّمِّل، وقد اشتملت آيات هذه الآيات على المرتكزات الروحية التي تُعين حامل الدعوة إلى الله تعالى على مسيرته الدعوية، وتوضيح هذه المرتكزات من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: قيام الليل:

المُرتكز الأول من مرتكزات البناء الروحي هو الحرص على قيام الليل بجد واجتهاد، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾ [المزمل: 1 – 4]

فقد افتُتحت السورة بنداء إمام الدعاة صلى الله عليه وسلم

نداء ارتفاق وتحبُّب وتأنيس وملاطفة، وفيه دلالة على الاعتناء بالكلام المُلقى على المُخاطب، والتنبيه على أهميته؛ حيث جاء النداء بحالته صلى الله عليه وسلم وعُبِّر عنه بصفته) الْمُزَّمِّلُ (، وفيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوّة على حمل أعباء ما يراد به، [14] سواءٌ أكان المراد من هذا الوصف معناه الظاهر، وهو المتلفِّف بثيابه المتغطي بها، أم كان مجازًا عن كونه حَمْله صلى الله عليه وسلم النبوّة والرسالة والتشمير لها، والجِدَّ في أمرها. [15]

والمُزَّمِّل لغة: اسْمُ فَاعِل، من تَزَمَّلَ إذا تلفَّف وتغطى، وأَصله المُتَزَمِّل، فأُدغمت التَّاء في الزَّاي لقربها منها، يُقَالُ: تَزَمَّل فُلَانٌ إِذا تَلَفَّف بثيابه وتغطّى، وزَمَّل الشيء حمَلَه. [16]

والنداء في الآية الكريمة وإن كان موجهًا للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه نداء شامل لكلِّ مُتأسٍ به، ولكلِّ حاملٍ للعلم، ومُشتغل بالدعوة إلى الله، ودعوة عامة وشاملة لكل مَنِ تلفَّفَ بثوب وتغطى به، فَرَقَدَ ليله، أو تهاون بقيامه، فهو نداء لكلِّ واحد من هؤلاء) قُمِ اللَّيْلَ (، ولعلّ في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء والأمر دلالة على أهمية قيام الليل في تعميق الصلة بالله، وتقوية الاستعداد للدعوة من جهة، ورفعة شأن القائم به من جهة أخرى.

والمراد بـ) قُمِ اللَّيْلَ (: اليقظة التامة فيه لأداء الصلاة، وخصَّ الليل بالقيام؛ لأنهَ وقت الخفية، والستر، والسكون، "والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه. . وهذا هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير. " [17]

ولقيام الليل بالصلاة والتوجه إلى الله تعالى أثر بالغ ومضمون في بناء الروح إن أُتي به على الوجه الأتم والأكمل؛ ذلكم أنها وسيلة إعداد ربانية، ولا ريب أن خالق الروح وموجدها أعلم بما يصلح لها، وبما يُعمق صلتها به جلّ في عُلاه. ولعلَّ التعبير عنها بفعل القيام [قُمْ] يُشير إلى هذا؛ حيث يحمل في طياته معنى اليقظة الكاملة، والواعية، لصلاة الليل، والعزيمة والانتصاب لها، والإتيان بها على أتم وجه وأكمله؛ فالقيام في اللغة ضد الجلوس، ويأتي بمعنى العزم على الشيء، يقال: قام يفعل كذا؛ أي: عزم على فعله، ويأتي بمعنى المحافظة والإصلاح، ومنه قوله تعالى:] **إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا** [[آل عمران: 75]؛ أي: ملازمًا محافظًا، ويأتي أيضًا بمعنى الوقوف والثبات، يقال للماشي: قف لي؛ أي: تحبَّس مكانَك. [18]

وليس المطلوب قيام الليل كله؛ لأن العبادة مبنيّة على اليُسر، وقدر الاستطاعة، والتوازن، والجسم له نصيبه من الراحة، وإنما المطلوب القليل من كلِّ ليلة، وذلك بحسب راحة الجسم وقوة الاستعداد، فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ **مُجمَل، فسّره ما بعده، وهو قوله تعالى**: ﴿**نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾ [المزمل: 3، 4] والمعنى: إلا قليلاً من الليل وهو النِّصف، أو انقص من النصف قليلاً، بحيث يزيد عن الثلث، أو زد على النصف إلى الثلثين. [19] وبهذا تكون صلاة الليل على التخيير بين ثلثه ونصفه وثلثيه سواء أكان ذلك في الليلة الواحدة أم في ليالٍ متعددة، كأن يقوم مرة نصف الليل، ومرة الثلثين، وأخرى الثلث، وذلك بحسب القدرة والاستطاعة.

وقد أخذ الشنقيطي من هذه الآية أن عدد ركعات صلاة الليل غير محدد بعدد ثماني ركعات أو أكثر، وإنما هو على التخيير بين هذه الأزمنة من الليل، وذلك متروك لنشاط القائم واستعداده وارتياحه، ولا يمكن التّعبد بعدد لا يصح دونه ولا يجوز تعديه. [20]

وإذا كانت الصلاة المفروضة هي عنوان الصلة بين العبد وربه ورمز خضوعه له والالتجاء إليه، فإن صلاة الليل تزيد على ذلك بأنها تقطع صاحبها عن ملذّات الدنيا، وعزله عن شهواتها، وبذلك تجعله أقرب إلى الإخلاص، وتنأى به عن أي شبهة من سُمعة أو رياء، ومن هنا جاءت في صدارة مرتكزات البناء الروحي للداعية، ولذلك رغّب القرآن الكريم فيها، وحثَّ على القيام بها في غير ما آية من الآيات، وسلك في ذلك مسالك متعددة، ومن ذلك مثلاً: يذكر أنها طريق نيل المقام المحمود يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء: 79]، ويُبين في سياق أنها من صفات عباد الرحمن: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: 64]، ويذكر في سياق أنها من أحوال المؤمنين الذين لا يرجون إلا رحمة الله: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر: 9]، ويؤكد في سياق آخر أنها من أعمال المتقين وصفات المحسنين، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ [الذاريات: 15 – 17].

ولا يعني ما تقدم أن صلاة الليل مطلوبة من الداعية فحسب، بل هي مطلوبة منه ومن غيره، ولكن خُصّ الداعية بها لسمو رسالته، ورفعة مهمته التي تميّز بها عن غيره، هذا من جانب، ولتكون عونًا له على تحمل المشاق والمتاعب التي تواجهه في طريق الدعوة من جانب آخر، وليكون أسوة لغيره في التقرب إلى الله تعالى من جانب ثالث.

المطلب الثاني: ترتيل القرآن

المرتكز الثاني من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة قراءة القرآن الكريم بتمهل وتأنٍ؛ ليتمكن من تدبره وفهم معانيه، وهو مأخوذ من قوله تعالى:] **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**[[المزمل: 4]، والتّرتيل مصدر الفعل الرّباعي رتَّل، يقال: رتّل ورتَّلَ فعل رباعي متعد، يُقال: رتَّل، يُرتِّل ترتيلاً، وهو في الأصل يدل على إرسال الكلمة من الفم بسهولة على اللسان، ويوصف به الكلام إذا كان حَسن التناسق والتأليف؛ يقال: رتّل الكلام، إذا أحسن تأليفه وأبانَه وتمَهَّلَ فيه، والتَّرْتيل، ضدُّ العجلة، وهو في القراءة التَّرسُّل فيها من غير بغي. وترَتَّلَ في الكلام: تَرَسَّل، وَهُوَ يَتَرَتَّلُ في كلامه ويترسَّل. [21]

والترتيل المأمور به في هذه السورة هو قراءة القرآن قراءة تَبْيين حروفها، والتأني في أدَائِهَا ليكون ذلك أدعى إلَى فهم معانيها، [22] وقد جاء الفعل (رَتِّل) مؤكدًا بالمصدر (تَرْتِيلًا) للدلالة على المبالغة، وأنه لا بد للقارئ منه، لتقع قراءته عن حضور القلب، والتأمل والتفكر في حقائق الآيات ومعانيها؛ فعند الوصول إلى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله، وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، وعند ذكر القصص والأمثال يحصل الاعتبار. [23]

ولا غرو أنّ مثل هذه القراءة تبني روح الداعية، وتقوي صلته بربه، وتجعله على بصيرة من أمره، وتكسبه أساليب دعوية متعددة، ومهارات متنوعة، تُعينه على توصيل رسالته، وتحصيل ما يحتاجه في التعبير عن فكرته، والتغلب على الصعوبات التي تواجهه والعوائق التي تعترضه، كيف لا وفي القرآن الكريم من القصص والأمثال والتوجيهات والأحكام ما يرسم للداعية طريقته، ويضبط منهجه في تبليغ دعوته وتوصيل رسالته على الوجه الأحسن والأنفع.

هذا؛ وقد ورد لفظ الترتيل في القرآن الكريم أربع مرات في موضعين؛ أحدهما في هذه السورة، مرة بصيغة فعل الأمر، وأخرى مصدرًا. وثانيهما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: 32]، حيث ورد مرة بصيغة الفعل الماضي (رَتَّلَ) وأخرى مصدرًا (تَرْتِيلًا). [24]، وذُكر في المراد من الترتيل أحد احتمالين؛ الأول: أن القرآن الكريم مُنسقًا تنسيقًا حسنًا في ألفاظه ومعانيه.

والثاني: أن يكون المراد الأمر بقراءته مُرتلاً على ما جاء بصيغة الأمر في الموضع الأول. [25]

وسواء ترجح الاحتمال الأول أم الثاني فإن القرآن الكريم حَسَن التناسق والتأليف، وقد أمر الله تعالى بتلاوته تلاوة تُعين على تدبره وفهم معانيه، وذلك ببيان جميع الحروف والحركات، ولكن على الاحتمال الثاني يكون القرآن الكريم متواترًا بلفظه وترتيله، قال أبو زهرة عند تفسيره لقوله تعالى:]وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا[: "الترتيل هو قراءة القرآن الكريم على نسق منسق مصور للمعاني الجليلة في التلاوة، فيتلقاه النبي مُرتلاً، ثم يقرؤه لغيره من القُراء من أصحابه كذلك، وبذلك يتواتر القرآن مرتلاً، كما أقرأه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم، وكما قرأه النبي على أصحابه، فالقرآن الكريم ليس متواترًا بلفظه فقط، بل بلفظه وترتيله". [26]

وبعد الأمر بقراءة القرآن على أتم الوجوه وأكملها يأتي وصفه بالقول الثقيل، قال تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ [المزمل: 5]، والإلقاء يدل في الأصل على طرح الشيء، ثم صار في التّعارف اسمًا لكلّ طرح، يقال: ألقه من يدك وألق به من يدك، وألقى إليه المودة. [27] فهو يُستعمل في الحقيقة وفي المجاز، وقد استعير هنا للدلالة على الإبلاغ والإيحاء.

والقول الثّقيل هو القرآن الكريم، وللعلماء في وصفه بالثّقل عدة أقوال، منها:

- أولاً: أنه كان يثقُل تلقيه على النبي صلى الله عليه وسلم إذا أُوحي إليه.
- ثانيًا: إنه يثقل موازين الأعمال يوم القيامة.
- ثالثًا: إن الثّقل في العمل بما فيه من فروض وأحكام. [28]

وهذه المعاني متقاربة، وجميعها في القرآن الكريم، وكلٌّ منها ثابت فيه. ولا يعني هذا أنه ثقيل في مبناه فهو كما وصفه الله تعالى مُيسَّر للذكر: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: 17]، «ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب. . وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه، لثقيل. . وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل. » [29]

أما عن موقع الآية مما قبلها فذكر غيرُ واحد من المفسرين أن هذه الآية معترضة بين ما قبلها وما بعدها، وأن فائدة هذا الاعتراض هي تسهيل الأمر بقيام الليل، فهو بالنسبة إلى ما سيوحى إليك من التكاليف سهل. [30]

فيما نفى الشيخ السايس الحاجة إلى جعلها معترضة، وذهب إلى أنها مما قبلها بمنزلة العلة من المعلول، وأن المعنى: قُم اللَّيْلَ وتجرد للعبادة، وأعد نفسك لما سيلقى عليك، لأنّ الله تعالى سَيوحي إليك بأمور عظيمة، وتكاليف ثقيلة تقتضيها طبيعة الرسالة. [31]

وذكر القاسمي أنها مُبيِّنة لعلَّة الأمر بترتيل القرآن، فقال ما نصه: «الجملة معللة للأمر بالترتيل، وأن ثقله مما يستدعيه. » [32]

ولعلّ هذا هو الأقرب إلى الصواب، لأن الله تعالى يأمر بترتيل القرآن الكريم؛ أي: بتلاوته تلاوة تُحرّك القلب، وتُعين على التفكر والتدبر، وفهم المعاني، ولا ريب أن التلاوة بهذه الكيفية يتحصل منها الثواب الجزيل، وإدراك حِكَم وأسرار التنزيل، والعلم العمل بما فيه أحكام.

ثم يأتي بيان حكمة اختيار فترة الليل: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ (المزمل: 6)؛ فوقت الليل فيه مجاهدة للنفس، والعبادة في ساعاته كالصلاة وتلاوة القرآن فيها إعلان السيطرة على النفس، وإظهار تغلُّبها على شهواتها، هذا من جانب، وهي من جانب آخر أعمق أثرًا في بناء الروح وتربيتها لاحتمال التكاليف عامة وتحمّل أعباء الدعوة خاصة، وأعظم مصادفة للخشوع، وموافقة بين القلب واللسان، وأتمُّ إخلاصًا، وأبعد عن السّمعة والرياء، وأشدُّ نشاطًا وثبوتًا ورسوخًا، وأكثرُ بركة، وأبلغُ في الثواب. [33]

ففي الليل ينقطع الإنسان عن أعمال الدنيا ومشاغل طلب المعيشة، ويستريح من الأعمال التي أتعبته في النهار، ولذلك كان من رحمة الله تعالى وحكمته أن جعل الليل وقتًا للسكون والراحة، وجعل النهار وقتًا للسعي في طلب الرزق وتحصيله، ومن هنا كانت المشاغل فيه كثيره، ومتنوعة، وكانت الخلوة بالنفس نادرة، والانقطاع التام للعبادة متعذر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾ [المزمل: 7]، والسَّبح مصدر سَبَحَ، وهو يدل في الأصل على المرِّ السّريع في الماء، ثم استعير للدلالة على سرعة العمل واستمراره. [34]

والمعنى كما قال أبو السعود وغيره: إن لك في النّهار تقلبًا وتصرفًا في مهمَّاتك، واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغَ للعبادة فعليكَ بها في الليل، وهذا بيانٌ للداعي الخارجي إلى أعمال عبادة الليل بعدَ بيان ما في نفسه من الدَّاعي. [35] وليس هذا فحسب، بل إن عبادة الليل تُقوي الرّوح، وتضبط مشاغل النهار، وتُعين على تحمّل ما فيه من متاعب ومشاق.

المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله

المرتكز الثالث من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة هو ذكر الله تعالى على كلِّ حال، في الليل والنهار، وهو مأخوذ من قوله تعالى:]وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ [[المزمل: 8]، والذِّكر في اللغة ضد النسيان، وهو يُطلق ويراد به هيئة للنفس بها يتمكن الإنسان من حفظ ما يقتنيه من المعارف، وهو كالحفظ؛ إلا أن الفرق بينهما أنّ الذِّكْر يقال باعتبار حضوره بالقلب وباللسان، ومنه قيل: الذّكر ذكران:

ذكر بالقلب، وذكر باللّسان. وكلّ واحد منهما نوعان: أحدهما: ذكر عن نسيان. والثاني: ذكر لا عن نسيان، بل يُقال باعتبار إدامة الحفظ. (36)

والمطلوب من الداعية إدامة حفظ اسم الله تعالى، والدوام على ذكره في جميع الأوقات، وفي كل الأحوال، بالقلب واللسان، كما قال تعالى في وصفه لأولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، وقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: 25]، وقال آمرًا بكثرة ذكره: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41]، وقد روى الإمام الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في تفسيره لقوله تعالى:] وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا [[الأنفال: 45]: "لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: 103] بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسرِّ والعلانية، وعلى كل حال. " (37)

فالذِّكر ليس له حدّ، ويُقتدر عليه في كل الحالات، ولا عُذرَ لأحد بتركه، وهو يتناول كلَّ ما يُذكَر به، من «ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثّناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتمّ إلّا بتوحيده؛ فذكره الحقيقيّ يستلزم ذلك كلّه، ويستلزم ذكر نِعَمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه. » (38)

والذِّكر بهذا المعنى أعون ما يُعين على تقوية الصلة بالله تعالى، والتوجه إلية في السراء والضراء، والمحنة والمنحة.

المطلب الرابع: الانقطاع إلى الله تعالى والإخلاص له

أما المُرتكز الرابع من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة فهو الانقطاع التام إلى الله تعالى بالعبادة والتجرد له عن كلِّ ما سواه، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8]، والتبتل مأخوذ من بَتَلَ، وهذه المادة تدل في الأصل على إبانة الشيء من غيره، يقال: بتَلْتُ الشيءَ، إذا أبَنْتَهُ من غيره، والبَتْل: القَطْع، والبتول والبتيل والبتيلة من النّخل: الفسيلة المنقطعة عن أمّها المستغنية عنها، والتّبتّل: الانقطاع عن الدّنيا إلى الله تعالى، وكذلك التّبتيل: يقال للعابد إذا ترك كلّ شيء أو أقبل على العبادة، قد تبتّل؛ أي: قطع كلّ شيء إلّا أمر الله وطاعته. (39)

ولأئمة التفسير في المراد من التبتُّل في الآية الكريمة عدة أقوال، منها: التَّعبّد، والإخلاص، والانقطاع، والتضرع. (40)

وهذه الأقوال متقاربة، ولا تخرج عن المعنى الأصلي الذي أفادته الكلمة، ولكلٍّ منها دور في البناء الروحي، لكنّ يجمعها الإخلاص لله تعالى والانقطاعُ إليه في كل ما يُؤتى وما يُترَك من الأقوال والأعمال، وعلى هذا يمكن القول إن التبتل والانقطاع لا يتحقق إلا بشرطين:

- أحدهما: قطع النَّفْس عن شهواتها وعن هواها. فلا يأتي صاحبها من الأقوال والأعمال إلا بما يوافق الكتاب والسنة
- والثاني: قطع النَّفْس عن إرادة غير الله تعالى، وعن إشراك غيره سبحانه وتعالى معه، وحصر الباعث على القول أو العمل بمرضاة الله تعالى، وابتغاء الأجر منه. والبناء الروحي لا يتم إلا بالتزام ذلك وتطبيقه في الحياة العملية.

وليس المراد من هذا انقطاع الداعية عن الأعمال الدنيوية، وإنما المراد ألا تُشغله أعمال الدنيا عن عبادة الله تعالى، ولا عن العمل الدعوي، وأن يُعطيها القدر الذي لا بدّ منه، مع وجوب تحقق الشرطين السابقين؛ أعني الموافقة للكتاب والسنة، والإخلاص لله تعالى.

وفي إيثار ما في النظم الجليل] تَبْتِيلًا[على (تبتلاً) حتى يكون الفعل موافقًا لمصدره فائدة ذكرها ابن القيم، ونص عبارته: " ومصدر بَتَّلَ تَبَتُّلًا كالتَّعلم والتَّفهُم، ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف فإنّ في هذا الفعل إيذانًا بالتّدريج والتَّكلف والتّعمُّل والتكثر والمُبالغة، فأتى بالفعل الدّالّ على أحدهما، وبالمصدر الدّالّ على الآخر فكأنه قيل: بَتِّلْ نَفْسَكَ إلى الله تبتيلاً، وتَبَتَّلْ إليه تَبَتُّلًا، ففُهم المعنيان من الفعل ومصدره. . . وهو من أحسن الاختصار والإيجاز. " (41)

فهو يُشير إلى أن هذه الجملة القرآنية جمعت بين الفعل] تَبَتَّلْ[ومصدر فعل آخر (بَتِّلْ)، فدل الفعل على تكلُّف الانقطاع إلى الله تعالى والتدرج فيه، ودل المصدر] تَبْتِيلًا[على المبالغة والتكثير والزيادة منه، حتى يحصل أثر التبتيل؛ وهو التبتل أي: تعويد النفس على الطاعة، وترويضها على العبادة، وهذا مما يجب مراعاته، والأخذ به، وهو التدرج في العمل، بحيث تكون البداية بالقليل، فإذا ترسخ زاد منه واستكثر، وفي ذلك ضمانٌ لدوام العمل، وعدم انقطاعه، وعدم حصول السآمة والملل.

ولعلّ في التعبير باسم الرّب تنبيه على استحقاقه سبحانه وتعالى التبتل والانقطاع، وأنه لا يليق إلا به تعالى؛ فهو خالق جنس المشارق والمغارب كلها، والمتفرّد بتدبيرها، والقائم على إصلاح أمورها،] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ[؛ فلا معبود بحقٍّ إلا هو، ولا تنبغي الألوهية إلا لعظمته، ولا مخلوق يستحقُّ أن يُخصَّ بالخضوع والتذلل سواه.

المطلب الخامس: الاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمر إليه

المرتكز الخامس من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة هو تفويض أمره إلى الله تعالى والتوكل عليه في سائر الأعمال، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9]، والوكيل مأخوذ من الفعل الثلاثي وَكَلَ، وهذه المادة تدل في أصل الوضع على اعتماد على الغير في أمر ما، ومن ذلك التوكل، وهو إظهار العَجْز في الأمر والاعتماد على غيرك، وواكل فلان إذا ضيّع أمره متّكلاً على غيره، وسُمِّي الوكيلُ لأنّه يُوكَلُ إليه الأمر. (42)

وذكر الراغب الأصفهاني أن التَّوَكُّلُ يقال على وجهين:

أحدهما: المتولي، يقال: تَوَكَّلْتُ لفلان؛ أي: تولّيت له.

والثاني: المعتمد والملجأ، يقال: وَكَّلْتُهُ فَتَوَكَّلَ لي، وتَوَكَّلْتُ عليه؛ أي: اعتمدته. (43)

والوكيل في أسماء الله الحسنى: هُوَ الموكول إِلَيْهِ كل الْأُمُور، ويسْتَحق بذاته أَن تكون الْأُمُور موكولة إِلَيْهِ والقلوب متوكلة عَلَيْهِ، والوكيل المطلَق هو الذي الأمور موكولة إليه وهو مليّ بالقيام بها وَفِي بإتمامها وذلك هو الله تعالى فقط. (44)

والأمر باتخاذه سبحانه وتعالى وكيلاً يتضمن التسليم إليه، والاعتماد في قضاء الحوائج عليه، واللجوء في كل الأحوال إليه، وتفويض كل أمر إليه، ولا شك أن الالتزام بهذا الأمر يقوي صلة الداعية بربه، فيطمئن بذلك قلبه، وتشتدّ عزيمته، ويثق ثقة مطلقة بأن الله تعالى يُمدّه بالحول والقوة، ويصرف عنه الموانع، ويُسهل له الأسباب، ويذلل له العقبات.

ومما يُدلِّل على أهمية التوكل على تعالى وكونه ضرورة لازمة لبناء روح الداعية وتقوية صلته بالله تعالى – على وجه الخصوص – مجيء الأمر به في آيات متعددة، وسياقات مختلفة، ومن ذلك مثلاً: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 81]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: 123]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]. وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 3].

فكما يجب إفراد الله تعالى بالعبادة يجب إفراده بالتوكل؛ لأنه لا نافع ولا ضار، ولا كافي إلا هو وحده تبارك اسمه، وليس معنى التوكل ترك الأسباب وتعطيلها، وإنما من تمام التوكل على الله تعالى وكمال الاعتماد عليه الأخذ بالأسباب، وللبقاعي عبارة لطيفة في هذا المعنى، حيث يقول في سياق حديثه عن التوكل: «وليس ذلك بأن يترك الإنسان كلّ عمل، فإن ذلك طمعٌ فارغ، بل بالإجمال في طلب كلّ ما نُدب الإنسان إلى طلبه، ليكون متوكلاً في السبب لا من دون سبب، فإنه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة، وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الأسباب. » [45]

وذكر صاحب المنار أن ترك الأسباب بدعوى التوكل لا يكون إلا عن جهل بالشرع أو فساد في العقل، فالتوكل محله القلب، والعمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح، وأن الإنسان مسوق إليه بمقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومأمور به في الشرع، واستدل لذلك بعدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: 15]، وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71]، وبعد ذلك ذكر أن الإنسان إذا توكل ولم يأخذ بالأسباب يقع في الحسرة والندم عندما يخيب ويفوته غرضه. [46]

ولا ينحصر التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب في جانب دون آخر، وإنما هو عامٌ وشامل لكل شأن من شؤون الداعية؛ الدينية والدنيوية، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها.

المطلب السادس: الصبر

المرتكز السادس من مرتكزات البناء الروحي هو الصبر على المخالف، وعلى أذاه، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، والصّبر لغة مأخوذ من الفعل الثلاثي صَبَرَ وهو يدل في أصل الوضع على الحَبْس، يقال: صَبَرَ فلانٌ فلانًا عن الشَّيء يَصْبِرُه صَبْرًا إذا حَبَسَه، وصبر نفْسَه: حبسها ومنعها. ومنه: قُتل فلانٌ صَبْرًا، إذا حُبس، وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه. والصَّبر: حَبْس النَّفْس عِنْدَ الجزَع. والتَّصَبُّرُ: تكلُّف الصَّبْر. ويقابل الصّبر الجزَع، يقال: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا إذا تجلد ولم يجزع. [47] ومن هذا التقابل قول الذين كفروا يوم القيامة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: 21].

وللعلماء في المعنى الاصطلاحي للصبر عدة تعريفات، من أوجزها وأجمعها قول مَنْ قال: هو حبس النَّفْس على احتمال ما تكره. [48]

فهذه العبارة الموجزة المختصرة شملت أنواع الصبر، حيث إنه على ضربين: أحدهما: نفسي، وهو حبس النّفس عن مُشتهيات الطبع ومُقتضيات الهوى. والثاني: بدنيٌ، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة من العبادات أو من غيرها، أو بالاحتمال كالصَّبر على المرض الشديد، والآلام العظيمة والجراحات الهائلة، [49] سواء أكانت مادية عن طريق الضرب أو التعذيب أم كانت معنوية عن طريق القول كالسخرية والاستهزاء والقبيح من الكلام.

وبناء على ما سبق يمكن القول إنه لا يمكن لداعية ولا لغيره أن يصل إلى بناء الروح، وتعميق الصلة بالله تعالى إلا بالصبر، ولا يقوى على أداء الطاعات ولا تجاوز ما يعترضه من عقبات إلا بالصبر؛ لأن أداء الطاعات، والانتهاء عن المعاصي يفتقر إلى الصبر، ولعلَّ مما يؤكد هذا مجيء لفظ الصبر في القرآن الكريم في آيات متعددة وسياقات مختلفة، ومن ذلك مثلاً: قوله تعالى مخبرًا عن أهل العلم أنهم قالوا لمن فُتن من قومهم بقارون: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: 80] وقوله تعالى في سياق الحدث عن خصلة الدفع بالتي هي أحسن: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35]؛ فالإيمان والعمل الصالح الموصل إلى ثواب الله تعالى يفتقر إلى الصبر، واحتمال أذى الغير، ومقابلة الإساءة بالإحسان كذلك تفتقر إلى الصبر الذي لا يناله إلا مَن كان له عند الله النصيب الأوفر والحظ الأكبر.

والأمر بالصبر في الجملة القرآنية]وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ[جاء متعديًا بحرف الاستعلاء (على) ، ومُقيدًا بالقول بصيغة الفعل المضارع، وفي هذا التعبير القرآني عدة فوائد؛ أما حرف الاستعلاء فيُشير إلى عظمة الصبر وعلو مكانته، وأما تخصيص القول بالذكر ففيه إشارة إلى أن الأذى محصورٌ بالقول، وأما صيغة المضارع] يَقُولُونَ[ففيها دلالة على تجدد الأذى القولي واستمراره، [50] فهو لا يختص بزمان، ولا ينحصر في مكان، ولا يسلم منه داع إلى الله، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الأمر بالصبر على الأذى القولي بهذا التعبير المعجز جاء في قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، وجاء مقرونًا بالتسبيح والحمد لله تعالى في قوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: 130]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39].

وإذا كان الصبر المأمور به هنا مقيدًا بالقول فقد جاء في مواضع أخرى مطلقًا من غير تقييد له بمعيَّن، فقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم إمام الدعاة وأسوتهم بالصبر في غير ما آية من آيات القرآن الكريم، ولم يُقيده بمعيّن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48]. وأخبر سبحانه وتعالى

أن الصبر هو العلاج الناجع الذي يواجه به حامل الدعوة إلى الله الأذى الذي يلقاه من مخالفه وعدوه، فقال: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12].

وبين في سياق آخر أن الصبر من صفات أئمة الخير والهدى، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

وفي هذه الآيات وأمثالها دلالة واضحة على أن الصّبر ضرورة لازمة لبناء روح الداعية على وجه الخصوص، وتوثيق صلته بربه سبحانه وتعالى، كيف لا وهو «الوصية من الله لكل رسول من رسله، مرة ومرة ومرة ولعباده المؤمنين برسله، ولا يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحدٌ إلا والصبر زاده وعتاده، والصبر جنته وسلاحه، والصبر ملجؤه وملاذه. فهي جهادٌ. . جهادٌ مع النفس وشهواتها وانحرافاتها وضعفها وشرودها وعجلتها وقنوطها. . وجهادٌ مع أعداء الدعوة ووسائلهم وتدبيرهم وكيدهم وأذاهم، ومع النفوس عامة وهي تتفصى من تكاليف هذه الدعوة، وتتفلت، وتتخفى في أزياء كثيرة وهي تخالف عنها ولا تستقيم عليها، والداعية لا زاد له إلا الصبر أمام هذا كله. » [51]

وبعد الوصية بالتزام الصبر يأتي التوجيه بمقابلة الأذى بالهجر الجميل، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، والهَجْرُ في اللغة: ضدُّ الوصل، يُقال: هَجَرَ فلان الشيءَ يَهْجُره هَجْرًا: تَرَكَه وأغفله وأعرض عنهُ، وهَجَرَه يَهْجُره هَجْرًا، وهِجْرانًا، قَطَعه وصَرَمَه، والتّهاجر: التّقاطع. والهَجْرُ والهِجْرَان: مفارقة الإنسان غيره، إمّا بالبدن، أو باللّسان، أو بالقلب. [52]

فالهجر لغة هو الإعراض والمقاطعة سواء أكان ذلك بالجسد، أم باللسان، أم بالقلب، أم بها جميعًا، والهجر المأمور به في الآية الكريمة ليس مطلقًا، وإنما هو الموصوف بالجميل؛ والجميل لغة وصف مشتقّ من جَمَل، وهذه المادة تدل في الأصل على الحُسن، ومنه الجمال وهو ضدّ القبح. وقيل: الجمال: كثرة الحسن، يُقال: رجلٌ جَميلٌ وجَمَال على التكثير، وجامله؛ أي: فعل معه الجميل، وأجمَلَ فلانٌ في كذا: أحسَنَ فيه. [53]

والهجر الج
والهوى، والمُخالفة في الأفعال مع المدارة، والإغضاء وترك المكافأة، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63]، وهو الأخذ بإذن الله تعالى فيما يكون أدعى إلى القبول. [54]

قال ابن عاشور في المراد من الهجر الجميل: هو الحَسَن في نوعه، وهو الذي يقتصرُ صاحبُهُ على حقيقة الهجر، وهو ترك المخالطة، فلا يقرنها بجفاء آخر أو أذى، ولما كان الهَجْر ينشأ عن بعض المهجور، أو كراهية أعماله كان معرّضًا لأن يعتلق به أذىً من سبٍّ أو ضَرْب أو نحو ذلك. فأمر الله تعالى بالهجر هجرًا جميلاً؛ أي: بالهجر الذي لا يزيد على هجرهم سبًّا أو انتقامًا. [55]

إنّ حامل الدعوة إلى الله تعالى ربّما يواجه أثناء تبليغ الدعوة، وتعليم الناس الخير، أو إرشادهم إلى الحق الإيذاء من بعض المدعويّن، فيكون الصبر المقرون بالهجر الجميل هو المُتعين، دفعًا لضررهم ورفعًا لقدره عن مجاوبتهم، لكن دون قطع للتبليغ، ولا ترك لدعوة الله تعالى، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلا مَنْ أخذ بحظ وافر من البناء الروحي، وقويت بذلك صلته بالله تعالى، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، فقد أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف وأمر بالإعراض عن أذى الجهلة السفهاء سواء أكانوا من مسلمين أم من غيرهم وعن مقابلتهم بمثل سفههم؛ والأمر بالإعراض عن الجاهلين كما يقول ابن العربي المالكي يتناول جانب الصفح بالصبر الذي يتأتى به للعبد كلّ مراد في نفسه وفي غيره.

نتائج الدراسة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وإعانته تكتمل الأمور، وبعد أن وفقني الله تعالى لإتمام هذه الدراسة لا بدّ من تسجيل النتائج التي توصلت إليها؛ وذلك على النحو الآتي:

1. إن وظيفة الداعية في هذا الزمان ليست مجرد تبليغ الإسلام، وإنما تشمل الميل بالناس إلى الإسلام، وحثهم على تعلّمه وتعليمه، وتطبيقه في واقع حياتهم.
2. إن مطلع سورة المُزّمّل من أوائل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا تكون المرتكزات التي تضمنتها هذه الآيات هي المنهج السليم، والطريق القويم لبناء الروح الذي لا يتغير بتغير الأزمان، ولا يتحول بتحول الأحوال.
3. إن البناء الروحي للداعية إلى الله تعالى ضرورة لا غنى لداعية عنه، بل لا يُتصور أن ينهض بالدعوة بدونها، ولا أن يحقّق الغاية المرجوة له ولأمته بعيدًا عنها.
4. المراد بمرتكزات البناء الروحي للداعية الدعائم والأسس التي يتحصّل من ضمِّ بعضها إلى بعض تقوية صلة الداعية بالله تعالى، وتثبيته في دعوته، وتمكينه من الاستمرار في تبليغ الإسلام للناس، وحثّهم على تعلّمه، وتعليمه، وتطبيقه، على الوجه الأكمل.
5. إن سورة المزّمّل تتمحور حول البناء الروحي للداعية إلى الله تعالى بغض النظر عن جنسه أو لونه، أو عصره، وزاده الذي يوثّق صلته بالله تعالى، ويضمن له استمراره في دعوته، ويعينه على تجاوز العقبات التي تعترضه.
6. إن مرتكزات البناء الروحي للداعية في مطلع سورة المزّمّل تنحصر بقيام الليل، وترتيل القرآن، واستدامة ذكر الله تعالى، والتبتل والانقطاع إليه في كل قول أو عمل، والاعتماد والتوكل عليه سبحانه وتعالى، والصبر مع الهجر الجميل للمخالفين.
7. إن مرتكزات البناء الروحي مرتبطة بعضها ببعض، ولا يُغني أحدها عن الآخر، وإن بناء الروح على الوجه الأكمل والأحسن لا يتحقق إلا بالأخذ بها جميعًا، وتطبيقها تطبيقًا عمليًا.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1. توجيه المؤسسات الدعوية، ومعاهد إعداد الأئمة الدعاة إلى عقد مُلتقيات دورية يتم خلالها التركيز على الجانب الروحي للداعية من الناحية النظرية، ومن ناحية التطبيق العملي.
2. تضمين مقرر مادة أصول الدعوة والخطابة المعتمدة في

كليات الشريعة مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم، وتوجيه الطلبة إلى الحرص عليها قبل الدعوة إلى الله وأثناءها.

3. عقد دورات تدريبية سنوية أو نصف سنوية للدعاة بحيث تكون متخصصة بالتربية الروحية للداعية قبل تحركه بالدعوة، وأثناء العمل بها.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، د. ط، 1979م)، 2/ 433، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414ه)، 5/ 355، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، بيروت ط1، 2008م)، 2/ 935، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (دار الدعوة، د. ت، ط)، 1/ 369.

2. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 302، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط. ت)، 241، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/ 250، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 1/ 72.

3. أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م)، 1/ 235.

4. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/ 454، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/ 956، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 1/ 380.

5. ينظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، (دار الشروق، القاهرة، ط14، 1993م)، 1/ 39 – 40.

6. علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م)، 2/ 325 – 326، محمد بن مكرم، لسان العرب، 14/ 258 – 259. وينظر: عبدالله أحمد الزيوت، أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (14)، عدد (3)، 2018م، 91 – 92.

7. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور، (دار الفكر، بيروت، د. ط، ت) ، 8/ 311، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، (دار الفكر، لبنان، ط1، 1996م)، 1/ 109 وما بعدها، محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ)، 5/ 377.

8. ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (الدار التونسية، تونس، د. ت، ط، 1984م)، 29/ 252.

9. عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ)، 5/ 386، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، (دار الكتب العلمية بيروت ط1، 2001م)، 8/ 352.

10. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 29/ 253.

11. شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، روح المعاني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 15/ 113.

12. إبراهيم بن عمر بن حسن البِقاعيّ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط. ت ط) ، 8/ 202، وله: مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، (الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1987م)، 3/ 131.

13. سيد قطب إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، (بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ) ، 6/ 3743.

14. ينظر: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ ط1، 2/ 422، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، 8/ 203، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (29/ 256).

15. ينظر: محمد بن عبد الله بن العربي، ، أحكام القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003م)، 4/ 323، محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب، (دار الكتب العلمية، بيروت ط1، ، 2000م)، 30/ 51، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، 2/ 422.

16. ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/ 25، محمد بن مكرم، لسان العرب، 11/ 311.

17. سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، 6/ 3745.

18. محمد بن مكرم، لسان العرب، 12/ 497.

19. ينظر مثلاً: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مصر، مطبعة مصطفى البابلى الحلبي، ط1، 1946م)، 29/ 111، وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط2، 1418هـ) ، 29/ 192.

20. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت، دار الفكر، د. ط، 1995م) ، 8/ 357.

21. علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 9/ 474، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1 ، 1412هـ) ، 341، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 2/ 70 ، محمد بن مكرم، لسان العرب، 11/ 265.

22. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، 1379هـ)، 9/ 89، محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط)، 20/ 53.

23. علاء الدين علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 4/ 356، الشوكاني، فتح القدير، 5/ 379.

24. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 9/ 89، أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 20/ 53.

25. ينظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت)، 6/ 216، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 19/ 20.

26. محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ، زهرة التفاسير، (دار الفكر العربي، د. ط. ت)، 10/ 5276.

27. الحسين بن محمد، المفردات، 745، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ، 4/ 38، محمد بن مكرم، لسان العرب، 15/ 257.

28. ينظر: علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت)، 6/ 126، عطيه محمد سالم، تتمة أضواء البيان، (دار الفكر، بيروت، ط1، 1980م)، 1/ 612، 613، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة، ، دار نهضة مصر للطباعة، د. ط، 1998م)، 15/ 165.

29. سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، 9/ 3745.

30. ينظر مثلاً: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، 4/ 638، عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ)، 5/ 255.

31. محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، 2002م)، 817.

32. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ)، 9/ 341.

33. ينظر مثلاً: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م ط4)، 8/ 2548، علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 4/ 357، محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 29/ 113.

34. الحسين بن محمد، المفردات، 392، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 2/ 166.

35. العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم، 9/ 51، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني، 29/ 105.

36. الحسين بن محمد، المفردات، 328، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 2/ 43.

37. محمد بن جرير الطبري، ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، ، 2000م)، 9/ 164.

38. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1973م)، 128.

39. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 195، محمد بن مكرم، لسان العرب، 11/ 42.

40. ينظر: علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، 6/ 128، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ)، 4/ 355.

41. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م)، 2/ 30، 31.

42. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 6/ 136.

43. الحسين بن محمد، المفردات، 882.

44. محمد بن محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: سام الجابي، (الجفان والجابي، قبرص، ط1، 1987م)، 129.

45. إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر، 8/ 210.

46. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1990م)، 4/ 170، 171.

47. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/ 329، محمد بن مكرم، لسان العرب، 4/ 438 – 439، سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، (دار الفكر، دمشق، ط3، 1988م)، 206.

48. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م) ، 1/ 501، محمد بن يوسف، البحر المحيط، 1/ 338، علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 1/ 93، محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 521.

49. الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، (جامعة طنطا، كلية الآداب، ط1، 1999م)، 210، محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة، د. ط. ت)، 4/ 66 – 67، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، 4/ 130، عبدالله أحمد الزيوت، أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (14)، عدد (3)، 2018م، 102 – 103.

50. ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر، 8/ 210.

51. سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، (6/ 3747).

52. أحمد بن فارس، معجم مقاييس، 6/ 34، الحسين بن محمد، المفردات، 833، محمد بن مكرم، لسان العرب 5/ 250 – 252، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، د. ط. ت) ، 14/ 396.

53. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 481، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 1/ 341.

54. ينظر: محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، 30/ 159.

55. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 29/ 269، بشيءٍ من التصرف.

المصادر والمراجع:

1. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422 ه)، مجلد4.

2. ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م)، مجلد4.

3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1973م).

4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م)، مجلد 2.

5. ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ)، مجلد 2.

6. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1379ه) ، مجلد9.

7. ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م)، مجلد 2، 9.

8. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (الدار التونسية، تونس، د. ط، 1984م) جزء 19، 29.

9. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ)، مجلد5.

10. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، د. ط. 1979م)، مجلد 1، 3، 6.

11. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ)، جزء 4، 5، 11، 14، 15.

12. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني الكليات، (مؤسسة الرسالة، بيروت).

13. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، مجلد6.

14. أبو جيب، سعدي، القاموس الفقهي، (دار الفكر، دمشق، ط1، 1988م).

15. أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، (دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2000م)، مجلد 1، 8.

16. أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، (دار الفكر العربي، د. ط. ت)، مجلد 10.

17. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، مجلد 15، 29.

18. الإمام الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، مجلد 9.

19. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م)، مجلد 8.

20. البِقاعيّ، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط. ت)، مجلد8.

21. البِقاعيّ، إبراهيم بن عمر بن حسن، مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، (الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1987م) جزء3.

22. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ)، مجلد5.

23. الخازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ)، مجلد1، 4.

24. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، (جامعة طنطا، كلية الآداب، ط1، 1999م).

25. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، (دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1 ، 1412هـ).

26. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1990م)، جزء 4.

27. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، د. ط. ت)، مجلد14.

28. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط2، 1418هـ)، جزء 29.

29. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ)، مجلد4.

30. الزيوت، عبدالله أحمد، أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (14)، عدد (3)، 2018م.

31. السايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، 2002م).

32. السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م)، مجلد1، 2.

33. سيد قطب، إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، (بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ)، مجلد 6، 9.

34. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، (دار الفكر، بيروت، د. ط. ت)، مجلد8.

35. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، (دار الفكر، لبنان، ط1، 1996م)، مجلد1.

36. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت، دار الفكر، د. ط، 1995م)، مجلد8.

37. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ)، مجلد5.

38. عبد الحميد، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، بيروت، ط1، 2008م)، جزء2.

39. عطيه محمد سالم، تتمة أضواء البيان، (دار الفكر، بيروت، ط1، 1980م).

40. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت)، جزء 20.

41. الغزالي، محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: سام الجابي، (الجفان والجابي، قبرص، ط1، 1987م).

42. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة، د. ط. ت).

43. الفخر الرازي، محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م)، جزء30.

44. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ)، مجلد9.

45. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت)، مجلد9.

46. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (دار الدعوة، د. ت، ط.)/ مجلد1.

47. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، (دار نهضة مصر للطباعة، د. ط، 1998م) ، جزء 15.

48. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، (دار الشروق، القاهرة، ط14، 1993م).

49. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، (مصر، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي، ط1، 1946م)، جزء 29.

50. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م)، مجلد1.